

القيصر اسكندر الثالث

(تابع ما قبله)

ختمنا الكلام في الجزء الماضي بما ذكره التفات من اسباب مرض القيصر ووفاته
 لكن جريدة السكولا الايطالية زعمت انه مات مسموماً وان المرض الذي اصابه انما
 هو نتيجة السم الذي دسه له النهلست في الطعام وقت حادثة بوركلي . والظاهر ان
 مصدر هذا الزعم نهلستي وقد هزأ طبيب القيصر الاخير الدكتور ليدن بهذه الاشاعة
 وقال ان القيصر كان عالماً منذ زمان انه لا يعيش وكان يعمل ما يتنابه من الوجدان وهو
 صابر . وقد بقي يهتم بشؤون المملكة الى الساعة الاخيرة ووقع على بعض الاوامر قبل وفاته
 بساعات قليلة . وقد ذكر ذلك بالاسهاب في المنظم الصادر في ١٥ نوفمبر . ونشرت
 جريدة الغلوي الفرنسية انه سأل ولي عهده قبل وفاته بأربعة ايام عما اذا كان قد
 اعد المنشور الذي سينشره على الامة الروسية عند ارتقائه سرير الملك فنردد ولي العهد
 عن الجواب مدة ثم اجاب نعم اعدته فاضطره ان يطلعه عليه وزاد عليه عبارتين احدهما
 لتعاقب بحفظ جانب السلم الذي لم يتكدر صفاؤه طول مدة ملكه . وخاطب ابنه عند
 ذلك قائلاً هذا هو عنوان مجدي فالآن قد اصبح منشورك تاماً وافياً وقد احسنت
 لانك لم تعرض في هذا المنشور لذكر شيء مما تستطيع ان تمنحه لامتك اذ ينبغي ان
 تعطى الحرية للامة شيئاً فشيئاً على قدر احتياجها اليها . وقد ذكر ذلك في المنظم
 الصادر في ١٧ نوفمبر

وكان لعمه وقع أليم في جميع الممالك والبلدان فانها لت رسائل التعزية على زوجته
 وابنه القيصر نقولا الثاني من الملوك والعظماء في كل الاقطار والامصار وعرضت جثته
 باحتفال عظيم في كنيسة ليفاديا في بلاد القرم حيث اسلم انقاسه ثم نقلت الى مدينة
 موسكو ومنها الى بطرسبرج مسافة الف وخمس مئة ميل واقامت الصلوات ووزعت
 الاطعمة في جميع الاماكن التي وقفت فيها . وبلغت مدينة بطرسبرج في الثاني عشر من
 نوفمبر وكانت شوارعها مكسوة بالسواد فعرضت في كنيسة قلعتها ستة ايام لكي يشاهدها
 جمهور المعزين على اختلاف طبقاتهم وبودعها الوداع الاخير . وكانت جدران
 الكنيسة واعمدتها مغطاة بالاكاييل بل كانت الاكاييل مرصوفة في ارضها كالروابي

وأكثرها من النضة الخالصة وبعضها من الذهب الابريز. وفي صبيحة اليوم التاسع عشر من شهر نوفمبر غصت الكنيسة بعظاء الامة الروسية ووكلاء الدول الاجنبية وفي الساعة الحادية عشرة دخل القيصر تقولا وامه وسائر الاسرة القيصرية والملوك والامراء الذين وفدوا لهذا الاحتفال وبينهم ملك الدنمرك وملك اليونان وملك السرب وفرنندوق هس ودوق كوبرج والبرانس اوف ويلس وابنة دوق يورك وغيرهم من الامراء. ولما اتم رؤساء الكهنة صلاة الجنازة تقدم القيصر واخوه الاصغر واعمامه وحملوا النش الى القبر وهو في الكنيسة تسبها. واقامت صلاة الجنازة عن نفس القيصر في جميع المواسم وحضرها الملوك والعظاء وكلهم كاسف المبال

” ولا غرو فهو القيصر العظيم الذي تولى الاريكة الروسية مدة ثلاث عشرة سنة او تزيد فحب رعيته اليه بما مهد لها من اسباب الامن والرفاهة وبسطة العيش واستمال سائر الدول الاوربية بما اظهره من ميله الى السلم ورغبته الشديدة في اعلاء معامله وتشديد دعائه. وهذا ما دعا اللورد روزبري وزير انكلترا ان يقارن بينه وبين نيوليون الاول ويوليوس قيصر ويلقبه بيطل السلم المحرّب وعذيقه المرجّب “

وقد اثبتنا في المقطع مقالة مسهبية في اوصافه ومناقبه يوم ورد نعيه الى القطر المصري قلنا فيها ما يأتي ” عرف القيصر اسكندر الثالث بخصائص ومزايا هي زينة الملوك وحليتهم التي ينبغي ان يتحلوا بها. فهو مشهور بالتقوى وقوة الايمان بحيث لا تحدث حادثه من حوادث هذا الكون الا ويرى فيها سرًا من اسرار العناية الالهية ويقال ان معيشته في بيته تشبه معيشة رجل من رجال الدين. وقد عرف ايضا بالداب والاجتهاد فكان ينهض من فراشه في الساعة السابعة صباحًا على كون معظم الاشراف في روسيا ينهضون غالبًا قبيل الظهر وبعضهم ينام الى ما بعد الظهر. ومتى نهض من نومه خرج الى حديقة قصره فيطوف بها هنيئًا ثم يعود فيتناول شيئًا من الطعام ويشرع في اعماله. واول ما يبدا به ترويض بدنه بالاعمال التي تستدعي قوة العضل كقطع الاشجار وجرف الثلج والصيد والقص وغير ذلك. فهو يشبه المستر غلادستون من هذا القبيل. وقد بلغ من شدة كلفه بهذه الامور انه امر ان يتركوا له بعض الاروقة في قصر غتشتينا ليحرف الثلوج منها بيدو في اوقات الشتاء وكان اولاده يعاونونه على ذلك وهم فرحون بمبتهجون فاذا فرغ من ترويض بدنه جلس ازاء مكتبه واخذ في القراءة والتوقيع على الاوراق وكان يقرأ كل شيء مدققًا فيه شأن اليقظ الساهر على مصالح رعيته ومتى فرغ

من القراءة على ما يحظر له من الآراء والافكار على الهوامس غير متحاشٍ اظهار مواضع الخطأ والانتقاد متى رأى حاجة الى ذلك . ولا يترك اشقاله الا عند الساعة الاولى بعد الظهر فيذهب لتناول الغداء ثم يخرج للنزهة في حديقة القصر مع البعض من اهل بيته او كبار قواده ويعود فيقرأ جريدتين من الجرائد الروسية تطبعان على ورق خاص ليطالعهما . ثم يتلون على مسامحه خلاصة الجرائد الروسية وغيرها حتى اذا فرغ من ذلك جلس يسمع حديث ندييه وما يقصه عليه من نوادر الفكاهات وغرائب الاخبار والاحوال . ثم يتفرغ لمواجهة وزراءه وقد عين لكل منهم يوماً خاصاً يواجهه فيه ويسمع ما ينهيه الى مسامحه من متفرقات المسائل والشؤون ويعود فيوقع على الاوراق ويمشي في الساعة الثامنة مساءً ثم يتناول الشاي ويذهب الى حيث جلالة القيصر . والغالب انه يذهب اليها بلباس الصيد مدة افاته في قصر غنشيننا وعذره في ذلك انه مقيم في الخلاء . وقد كان يحب المعيشة في الخلاء كثيراً وكان يقول حينذا لو أتيت لي ان ادفن في الخلاء وان اعيش براحة وسلام في مزارعي وحقولي

” وكان من المشهورين بقوة العضل وشدة البأس . يحكى عنه انه كان يلوي قضيباً من الحديد على ركبته ويدفع الباب بكتفه فيخلمه ويأخذ الريال بين اصابعه فيلويه ويجعل منه قعماً يضع فيه زهرة ثم يقدمه الى من حوله من نساء قصره ضاحكاً متهللاً كأنه فعل امرأ من ايشر الامور واخفها كلفة وعناء . وكان يأخذ اوراق اللعب رزمة واحدة ويشتمها بيده ويمزقها ارباباً . هذا ما كان من امر قوته البدنية مما اشتهر امره وسار في الخافقين ذكره . على انه دما اشتهر به من قوة البأس وشدة المراس كان يعد حمل القيصرية وقرأ ثقبلاً عليه وكان يفضل الاهتمام بشؤون اهل بيته وذويه على عزة الملك وأجهته . وپروى عنه انه لما توفي ابوه وابلغوه ان الملك صار اليه اطرق في الارض ثم قال ان اخنياري من بين جميع الروسيين لتولي اريكة القيصرية الروسية لا يخلو من التساوة . ولو لم يكن يعتقد ان قبضة علي زمام الملك انما هو ضربة لازب عليه بل هو واجب يطالبة به ضميره لتترك التاج وشأنه ولم يحفل بما هنالك من الجاه ورفعة الشأن

” وكان شديد التمسك بقوله اذا وعد انجز . واشتهر بالاستقامة والصدق . وپروى ان بعض رجاله عرض عليه يوماً اسم رجل قال انه اصلح للوزارة من سواه وبالغ في وصف ذكائه ومهارته فبسم القيصر وقال ان قليلاً من الاستقامة خير لنا واصون لمصلحتنا من كل هذا الذكاء والمهارة فنحن في حاجة الى المستقيمين الصادقين لا الى الاذكياء البارعين

” وما يروى عنه ايضاً انه كان يحب زوجته واولاده حباً شديداً وكان يُسرُّ بملاعبة اولاده الى درجة تفوق الوصف حتى كان يقضي ساعاتٍ مع ابنته الخندوقة كسينيا في احد قصوره وما يلعبان ويمرحان والسرور والنشاط مثل جوارحهما . وما يدل على حبه لرعيته ولا سيما الفقراء منهم انه كان جالساً ذات يوم مع البعض من رجاله فعرضوا عليه ان يقبوه بالقيصر العادل فقال بل انني قيصر الفلاحين وسأبقى كذلك الى ما شاء الله وهذا احسن لقب تلقبوني به . وانه ما من احد ادرك كنهه الا اشتراكه وحقيقة معناها فيما اعلم الا اثنان اولها الملك هنري الرابع الذي كان يهتم بشؤون الفلاحين من رعاياه . والثاني انا فيما اظن . لان جل منيتي وغاية قصدي ان لا اترك الفلاحين من زعيتي يموتون جوعاً “ انتهى عن المقطم الصادر في ٢ نوفمبر سنة ١٨٩٤

ومع هذه المناقب الرائعة بقيت جرائد اوربا تنكر فضله وتصدّق بما يروى عن بلاد الروس من المنكرات الى ان زاره احد كتاب الانكليز في قصر غنشيننا وحادثه مدة طويلة ووقف على آرائه ومقاصده واذاعها في الخافقين فازاح ستار الاوهام عن البصائر واعترف كبار الكتاب كما اعترف كبار الملوك والوزراء بانه قيصر السلم الذي يده ميزان السياسة الاوربية . وان اقصى مناه على ما قاله احد وزرائه لا ان يكون ملكاً عظيماً بل ان يكون ملكاً على امة عظيمة وان يسلم ملكه من التلخ باوضار الحروب . ولقد نال ما تمنى فكان مليونان من شاكي السلاح طوع امره مدة اربع عشرة سنة ولم يطلق واحد منهم رصاصة قصد العداة في كل بلاد الروس الوسيمة لا جبناً ولا اجماً بل تجنباً لما لا فائدة منه فانه كان يقول اذا اراد الله ان تمقوض اركان السلم وتدور رحى الحرب فاني اخوض عجاجها غير هيأب ” وما انا بالثاني الحفيظة في الوغي “

” ولكنني ماضي العزيمة مقدّم على غمرات الحادث المتفانم “

واهتم في اخريات ايامه بما سعى اليه بعض الفضلاء حديثاً وهو تقليل الجيوش المنظمة حتى تقل نفقاتها عن كاهل الامم ولا يبق السلم شديد الوطأة على مرديه كما هو الآن ولكن نشبت الحرب بين الصين واليابان في غضون ذلك فرأى ان الزمان لم يمن لتحقيق هذه الاماني

وخير ما نختم به هذه السطور قول اللورد روزبري وزير انكلترا الاول فيه قبيل وفاته وهو ” ان جميع الامم رأّت فيه ملكاً شعار ملكه وحقيقته خلقه احترام الحق

والسلم . نعم انه لا يُعدُّ من جملة الفاتحين الذين ربما علق التاريخ عليهم شأنًا أكثر مما يستحقون ولكن اذا كان السلم ابطال لم من السمعة والشهرة ما يعادل سمعة ابطال الحرب وشهرتهم فليصبر روسيا المجد الباذخ في التاريخ من حيث كونه بطل السلم ما يماثل مجد يوليوس قيصر ونبوليون بوناپرت الفاتحين



عمر الارض

ذكرنا في الصفحة ٨٠٠ من الجلد السادس عشر من المقتطف " ان اللورد كلفن العالم الشهير اثبت ان ازدياد حرارة الارض بالاقتراب نحو مركزها وإشباع الحرارة منها يدلان دلالة قاطعة على ان لئدتها حدًا محدودًا ووجد بالحساب انها لم تجمد منذ اقل من عشرين مليون سنة ولا منذ أكثر من اربع مئة مليون سنة . " وقد ورد هذا القول هناك في خطبة السر ارثبلد غيكي الجيولوجي الشهير لما رأس الجمع البريطاني سنة ١٨٩٢ .

الآن الخطيب استقل هذه السنين وقدّر عمر طبقات الارض بثلاثة وسبعين مليون سنة الى ستمئة وسبعين مليون سنة ورجح العدد الثاني كما يظهر بالراجعة بناء على ان المرتفع من وجه الارض ينخفض في بعض الاماكن جز ١ من ٧٣٠ جزء من القدم في السنة بفعل المياه ولا ينخفض في غيرها الا جز ١ من ٦٨٠٠ جزء من القدم في السنة . واكثر المرتفع من وجه الارض ينخفض بين هذين الحدين فعلى الاول ينخفض قدماً كل ٧٣٠ سنة وعلى الثاني لا ينخفض قدماً الا كل ٦٨٠٠ سنة . وقد علم ان طبقات الارض لا يقل ثخنها عن مئة الف قدم فاذا كانت قد رسبت باسرع التقديرين المتقدمين فقد اقتضى رسوبها ثلاثة وسبعين مليون سنة واذا كانت قد رسبت بابطاها فقد اقتضت ٦٧٠ مليون سنة

اما تقدير اللورد كلفن فاعترض قضية مسلمة عند أكثر العلماء وعند الذين ينقلون عنهم ولا سيما اذا ارادوا مقارعة علماء البيولوجيا الذين لا تكفيهم ملايين السنين لتحوّل انواع الحيوان والنبات . ولا نعلم ان احداً ناقضه مناقضة صريحة الا في اواخر العام الماضي وذلك ان الاستاذ بري الرياضي وجد خطأً جوهرياً في حساب اللورد كلفن ولكنه احم عن مفاتحه في ذلك هيبهً ووقاراً واخيراً انقاد الى لجاجة اصدقائه وكتب الى الاستاذ تايت رفيق اللورد كلفن ورصيفه يخبره بما اكتشفه من الخطأ . وسبب هذا الخطأ ان اللورد كلفن يحسب ان قوة اقبال مواد الارض للحرارة واشعاعها لها هي على